التهديد الذي تشكله هيئة تحرير الشام على النساء في سوريا

ظهرت هيئة تحرير الشام في عام 2017 كتحالف بين عدة جماعات جهادية سلفية متورطة في الحرب الأهلية السورية. وتضم جماعات ذات روابط وثيقة بتنظيم القاعدة وكذلك مقاتلين سابقين من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). وهي مصنفة دوليًا كمنظمة إرهابية. ومع ذلك، وبدعم من القوى الدولية، بما في ذلك تركيا على وجه الخصوص، شنت هجومًا على حلب وحماة ودمشق في 27 نوفمبر 2024، وأطاحت بالنظام السوري لبشار الأسد. وبغزو العاصمة دمشق وحمص، أعلنت هيئة تحرير الشام حكومة جديدة دون مشاركة الأحزاب السياسية والديموغرافية السورية الأخرى وتعتزم حكم سوريا على أساس أيديولوجيتها الأصولية الإسلامية.

وضع المرأة تحت سيطرة هيئة تحرير الشام

منذ عام 2015، كانت منطقة إدلب في شمال غرب سوريا تحت سيطرة مجموعات مرتزقة إسلامية مختلفة، بما في ذلك أسلاف هيئة تحرير الشام. استولت هيئة تحرير الشام على السلطة في إدلب في يوليو 2017. ومنذ ذلك الحين، عملت على تثبيت نظامها السياسي والاقتصادي الخاص، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدولة التركية. كما فرضت ممارساتها الدينية الصارمة على السكان، وخاصة النساء.

في ظل حكم هيئة تحرير الشام في إدلب، شهد السكان تغييرات كبيرة في حياتهم اليومية. فقد أدخلوا نظامًا اجتماعيًا وقانونيًا صارمًا قائمًا على تفسيرهم للشريعة الإسلامية. وقد جلب هذا معه العديد من القيود والتحديات للنساء. كانت الحرية الاجتماعية والدينية للمرأة محدودة، مع عواقب بعيدة المدى في مجالات مثل التعليم وفرص العمل والعلاقات الاجتماعية. وقد أدت هذه الظروف القاسية إلى أن تصبح النساء أكثر عرضة للعنف ومعاناتهن من المشقة.

تقارير إعلامية عن هيئة تحرير الشام ومعاملتها للنساء

وفقاً لصحافي مجهول الهوية من وكالة العين الإخبارية (al-ain.com)، احتجت مئات النساء ضد حكم هيئة تحرير الشام في مدينة إدلب شمال غرب سوريا يوم 25 ديسمبر/كانون الأول 2020، مطالبات بالإفراج عن السجناء. ورفعت النساء لافتات كتب عليها: "لا نقبل الفدية، نقبل الثأر فقط. لن نبيع دماء أبنائنا للجولاني. إدلب حرة وستبقى حرة" و"الهيئة اخرجي من إدلب". كما كانت هناك دعوات لوقف مداهمات المنازل من قبل عناصر قوات الأمن التابعة لهيئة تحرير الشام، الذين أصبحوا أمراء حرب ويسيطرون على جميع جوانب الحياة في محافظة إدلب.

وأفادت وكالة أنباء العربي الجديد (newarab.com) في عام 2022 أن الجماعات المتطرفة في إدلب مستوحاة من تجربة أفغانستان. وتعتمد قيودها على السكان على درجة سيطرتها واستقرار قوتها. وأفادوا أن "هيئة تحرير الشام عملت باستراتيجية واحدة عندما بدأت بالسيطرة على إدلب. فإذا رأوا شاباً يدخن اقتربوا منه ووعظوه من منطلقات دينية، وكذلك الفتيات اللواتي يضعن المكياج أو يرتدين جاكيتات قصيرة أو ألواناً زاهية. في البداية، كانوا يمررون هذه التحذيرات على أنها نصائح، ولكن مع تنامي قوتهم، بدأوا في التحرش بالنساء. وحتى اليوم يرفضون السماح للرجال والنساء بالتجمع. علاوة على ذلك، يُمنع الرجال من دخول محلات الملابس النسائية".

تجارب النساء في إدلب مع هيئة تحرير الشام ومنهجيتها

- رنا (42 سنة، أرملة): "بعد مقتل زوجي، كنت في حاجة ماسة. فبدون مرافقة أحد أفراد الأسرة الذكور (محرم)، لا يُسمح لي بالعمل خارج المنزل. أقوم بالخياطة سراً لإطعام أطفالي. وأخاف دائماً من أن يكتشفني أعضاء الهيئة".

- سميرة (35 سنة، معلمة): "قبل وصول هيئة تحرير الشام إلى السلطة، كنت أعمل في مدرسة حكومية. والآن عليّ أن أدرس صفوفاً منفصلة للفتيات فقط، بمنهج مقيد. لقد تم تخفيض راتبي وأحيانًا لا أحصل على أجر على الإطلاق. أشعر وكأنني سجينة في مكان عملي".

- ناشطة مجهولة: "كما تنمو المنظمات المتطرفة وتكتسب الدعم داخل الأقسام المحافظة الفقيرة من المجتمع على أساس تطبيق الشريعة الإسلامية. في هذه المجتمعات، يبدأون مشاريع اجتماعية، ويوزعون المساعدات المالية ويروجون للتعليم الديني والإيديولوجي. ومع وصولهم إلى السلطة، بدأوا في فرض تفسيراتهم الدينية على المجتمع واستخدام العنف والاعتقالات للسيطرة على تطبيقها ـ وكل ذلك بهدف تطبيق الشريعة الإسلامية.

- هالة (28 سنة، ناشطة حقوقية): "لقد اعتقلت مرتين بسبب نشاطي في مجال حقوق الإنسان. كانت التحقيقات معي مهينة ومؤلمة. حاولنا إنشاء شبكة دعم للنساء، لكننا اضطررنا للعمل في سرية تامة خوفًا من القمع من قبل اللجنة".

- نورا (38 سنة، طبيبة): "بعد فرض قيود صارمة، غادرت المستشفى. عملت وحدي في قسم النساء في ظروف تعسفية. معظم زملائي فروا من المنطقة بحثًا عن الحرية".

- *عائشة (27 سنة، معلمة ومهاجرة من دمشق): "نحن مسلمون ونعرف تعاليمنا الدينية منذ الصغر. لكن أن يأتي شخص ويتدخل في كل تفاصيل حياتنا بحجة الدين فهذه كارثة". ... "الفتاة التي ترتدي بنطالاً رياضياً لا يغطي سوى ركبتيها تسمى ليبرالية لأن البنطال يجب أن يصل إلى الكاحل. من الأفضل ارتداء الملابس الإسلامية والحجاب الأسود الفضفاض من النقاب الذي يخفي كل تفاصيل الوجه والجسم. ولكن لا ينبغي أن يظهر على الوجه أي مكياج أو ملابس ملونة.*

ما هو وضع المرأة في ظل نظام هيئة تحرير الشام في سوريا؟

تزعم هيئة تحرير الشام حاليًا أنها تسيطر على 70٪ من الأراضي السورية. في المدن الكبرى مثل دمشق وحمص وحلب، بدأوا في استخدام نفس الأساليب المستخدمة في إدلب لاستهداف النساء في الأماكن العامة، وانتقادهن بسبب لباسهن ومظهرهن والمطالبة بارتداء الحجاب. كما يستخدمون النساء، مثل أمينة الأسرة المعينة حديثًا، للحملة من أجل تنفيذ قواعد تقييدية لجميع أنحاء سوريا، بناءً على المبادئ التوجيهية في إدلب. إذا عززت هيئة تحرير الشام سلطتها، فسيكون لذلك عواقب بعيدة المدى على حياة النساء في سوريا. سيتم حرمانهن من حقوقهن وحرياتهن باسم الدين، مما يؤدي إلى زيادة حالات العنف الجنسي والاختطاف والهجرة القسرية. وستتحمل النساء أعباءً أكثر من ذي قبل في مسؤولياتهن الاجتماعية والاقتصادية تجاه أسرهن، بالإضافة إلى الأزمة الإنسانية القائمة بالفعل.

18.12.2024
مركز معلومات كونغرا ستار